وقفات تأمل مع سورة الناس

وقفات تأمل مع سورة الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس». رواه مسلم.

وعن عائشة، رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه، نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده» قالت عائشة: «فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به». رواه البخاري.

١- **الوقفة الأولى: الاستعاذة تتحق بأسماء الله وصفاته:** ولو تتبعنا استعاذات الرسول صلى الله عليه وسلم، لوجدناها تقوم على الأسماء والصفات، كما أنها استعاذات عامة الرسل والصالحين:

ففي الألوهية: قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ – وفي الربوبية: {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ – وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ

(٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ}.

وفي الرحمة: {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا}.

ومنها المعوذتان: **فبدايتها تقوم على أسماء الله وصفاته.** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ﴾. وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

– وآية الكرسي فمبناها على أسماء الله وصفاته – وأذكار أخرى فيها الحرز من الشيطان، وكلها مبنية على أسماء الله وصفاته، فما تحرز المتحرزون بمثل أسماء الله وصفاته، وهذه مجال للبحث العلمي، والبرهان العقلي.

٢- **بدأ القرآن كله بهذه الأسماء الثلاثة: (إله – رب – ملك) في سورة الفاتحة:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وختم القرآن بهذه الثلاثة الأسماء: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ﴾.

ولكن اختلف الترتيب فبدأ بالألوهية ثم الربوبية ثم الملك – والملك تابع للربوبية – وفي الناس بدأ بالربوبية ثم الملك وهو تابع للربوبية ثم الألوهية فيكون بدأ القرآن بالألوهية، وختم بالألوهية.

يبينها الحال المرتحل بين الناس والفاتحة، والرجوع من خاتمة القرآن إلى فاتحته، فيبدأ القرآن بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ

الفاتحة، ويختمها بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فيكون القرآن الكريم كله بين استعاذتين.

٣- لماذا في الاستعاذة هذه الأسماء الثلاثة بالذات؟

والجواب: قد ختمها بالناس أي الذين تحصل لهم الوسوسة، وفيه تفصيل:

أولا: من جهة الشيطان: فالذي يريد الشيطان الإضرار به هو الناس، وهذا الإنسان فإن هذا ربه الذي خلقه ورباه ودبر أموره وأصلح حاله وهداه ووفقه، فيستحق أن يكون الله ملكا عليه، وهذا العبد من ملكه، وهو إلهه المستحق للألوهية؛ فلا يعبد إلا هو، ثم يأتي هذا الشيطان الذي هو ذئب على البشر فيتخطى كل تلك الحواجز والحرمات ليهاجم هؤلاء الناس معتديا على حقوق الله تعالى في هذا المخلوق، فعندما يسمعها الشيطان يخنس ويتأخر القهقرى ذليلا أمام عظمة الله رب هذا الإنسان ومالكه وإلهه، وهنا يعلم الشيطان أنه تدخل في شؤون غيره وأنه لا بد أن يخرج من هذه الحظيرة المقدسة حظيرة القلب وما حولها، فيخرج ذليلا رجيما خاسئا خانسا.

ثانيا: من جهة الإنسان: عندما يجد أن الشيطان أَلَمَّ به وهو عدوه وبدأ يؤذيه، وهنا يتذكر من سيحميه من هذا الخبيث وشره، فلا يجد أمامه إلا ربه الذي خلقه ورباه، ويتذكر انتماءه إلى الله، فيلجأ إليه ويعتصم

به لعله يخلصه من هذا العدو الجاثم على قلبه، وعندما يعلم العبد أن الله مليكه وهو عبده فالعبد يرجع لسيده ومولاه ولا يخرج عن طوعه، فيتذكر أنه مالك الملك فيلجأ إلى هذا الملك الذي لا يعجزه شيء، وعندما يعلم أن الله إلهه يلجأ إليه؛ لأنه لم يكن إلها إلا وهو مستحق لكل صفات الألوهية، ومنها القدرة وعدم العجز فيلجأ إليه ليخلصه من عدوهما.

فكأنه يقول: يا ربي يا ملكي يا إلهي أنقذني من هذا الشيطان ووسوسته، وهنا يظهر قوة انتماء العبد إلى ربه وتعلقه به وتوكله عليه.

٤- ليس بيد الشيطان إلا الوسوسة وهو الصوت الخفي الذي يصدره الشيطان، فيقرّ في أذن الإنسان، وبهذا الصوت أغوى البشرية جمعاء، ويظهر أن سببه مواصلة الضغط والوسوسة حتى يقحم الإنسان في الشر، وكل الخطوات الأخرى التي يستعملها الشيطان كلها أصلها الوسوسة.

٥- **ذكر لله تعالى ثلاث صفات: ((الربوبية – الملك – الألوهية))**
وذكر لعدوه الشيطان ثلاث صفات: (الوسوسة – الخنوس – الجنس وهو كونه من الجنة والناس).

ونستطيع الربط بينها، فالله بيده الأمر كله والربوبية جمعاء وتدبير الأحوال كلها، بينما هذا العدو الذليل ليس بيده إلا الوسوسة، فلا يستحق أن يكون ربا ولا مدبرا والله بيده الملك كله، والملك دليل العزة والعظمة

والكبرياء والجبروت وهذا الشيطان خاسيء ذليل، والله هو الإله المعبود بينما هذا الشيطان من جنس العبيد، وأنت يا عبد الله تلجأ للرب الملك الإله العظيم، لمواجهة هذا الضعيف الموسوس الخانس العبد الحقير، فبربك ما تظن أن الله فاعل به وبك.

****

٦- لم يقل من شر الشيطان الرجيم؛ بل أتى بأوصافه الوسواس الخناس لتكون أدل على بيان خطورته ولسنا في حاجة لمعرفة جنسه؛ **بل لمعرفته مكايده وطرائقه.**

فالصفة الأولى على صيغة مبالغة وسواس، وهي تتعلق بفعل الشيطان،

والثانية ثمرة عمله: وهو الخنوس والتأخر والضياع.

والخناس: صيغة مبالغة، فهي مبالغة في التحقير.

والثالثة جنسه: فقد يكون الشيطان جنيا، فتستعيذ منه، وقد يكون إنسيا كالنمام والمغتاب فتستعيذ منه.

٧- **أنواع الشياطين، وأنهم من الجن والإنس؛** لأنه قد يظن البعض أن المقصود شيطان الجن فقط، فبيّن أن الاستعاذة كذلك من شياطين الإنس، والشيطان ضال في نفسه مضل لغيره، وهذا الوصف يدخل فيه الكثير ممن نعرف ومن لا نعرف.

٨- **قدم شياطين الجن على شياطين الإنس؛ لأنهم أخطر وهم**

القادة، وشياطين الإنس هم الأتباع والأولياء وتأثير شياطين الجن لا ينقطع ليلا ونهارا ولا سرا ولا جهارا، ووسوستهم أعمق وأخطر وأكثر تأثيرا، وشياطين الإنس في حاجة لشياطين الجن حتى وهو ينم ويغتاب ويكذب ويدجّل، يعينه الشيطان الجني فيضغط على الإنسان ليقتنع بما قاله شيطان الإنس، أما لو وسوس شيطان الجن فلا يحتاج لشيطان الإنس ليدعمه.

٩- لماذا قال في صدور الناس مع أن الوسوسة صوت خفي عن طريق الأذن؟

يظهر أن الأذن ممر يمر عبره الصوت ويستقر في الصدر، وأما كونه في الصدر ولم يذكر القلب، فالصدر واسع وفيه فراغ يعطي فرصة للشيطان، ليملأ هذا الفراغ بالصوت الخفي فترتج، وتصب بعد ذلك في القلب.

١٠- الجانب الغيبي في هذه السورة كبير، ولذلك فهي باب كبير من أبواب الإيمان، فنحن لا نرى الشيطان، فهو غيبي ووسوسة الشيطان خفية على الإنسان، وحال الشيطان بعد قراءة السورة غيبي، وما الله صانع به غيبي، وفي وجه كون السلاح في مدافعته بهذه السورة هو غيبي كذلك، ويظهر أنها تتعلق بالأرواح وتؤثر بعد الروح في الأجساد.

١١- علاقة الشيطان بالناس والإنسان فهي عداوة حقة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ

لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾. ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

وهذا يؤكد عداوة الشيطان لجنس الإنسان، وأنه ألدّ أعدائنا.

١٢- **إذا أكثر الإنسان من المعوذتين،** كان الشيطان وعداوته حاضرة في قلب العبد المؤمن وذهنه، ولا تفارقه أبدا، وهنا يستطيع العبد البحث عن التدابير اللازمة لمواجهة الشيطان وحزبه، فيقرأ ويتذكر فتزداد كراهية الشيطان في قلبه، ويزداد البحث عن التدابير اللازمة للتخلص من الشيطان ومحاربته، ولذلك يبذل العبد قصارى جهده لمواجهة الشيطان ومعاداته.

عباد الله: لو عشنا سورة الناس حقا، لتحققت الاستعاذة بها صدقا؛ ولكننا نقرؤها من غير تأمل لمعانيها وحقيقتها، فيضعف تأثيرها، فلنقرأها ونحن نعيش هذه السورة بكل قلوبنا، وسنجد تأثيرها على قلوبنا؛ بل وفي طرد الشياطين عنا بإذن الله تبارك وتعالى.